﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٥ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٦﴾

[الزّخرف: 74 - 76]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

حديثٌ عن سوءِ عاقبةِ الكافرين بعد الحديثِ عن حُسنِ عاقبةِ المؤمنين

إنَّ اللّهَ تعالى لَمّا ذَكَرَ الوَعدَ؛ أردَفَه بالوَعيدِ على التَّرتيبِ المُستمرِّ في القُرآنِ[1]، فلمّا ذَكَرَ تعالى حالَ أهلِ الجنَّةِ، وما يُقالُ لهم مِن لَذائذِ البِشارةِ؛ أعقَبَ ذلك بذِكرِ حالِ الكَفَرةِ وما يُجاوَبونَ به عند سُؤالِهم[2]، وكذلك لَمّا ذَكَر ما للقِسمِ الثّاني مِن الأخِلّاءِ - وهم المتَّقونَ - تَرغيبًا لهم في التَّقوى؛ أتْبَعَه ما لأضدادِهم - أهلِ القِسمِ الأوَّلِ - تَحذيرًا مِن مِثلِ أعمالِهم[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾: أصلُ الكَلِمَةِ مِن الجَرْمِ، وهو: القَطْعُ[4]، وقيل: أصْلُه الكَسْبُ، وفُلانٌ جَريمَةُ أهْلِه، أي: كاسِبُهُم، ومنه سُمِّيَ الذَّنْبُ جُرْمًا؛ لأنَّهُ كَسْبٌ لِصاحِبِه[5]، والإجْرامُ: ارتكابُ الجُرْمِ، وهو الإثْمُ العَظيمُ، وأعظَمُ الإجرامِ الكفْر[6]، والمُجْرِمُ في اصطِلاحِ القُرآنِ هو الكافِرُ، وهو المقصودُ هنا، فالمجرمون: هم الرّاسخون في الإجرامِ، الَّذين اجترموا في الدُّنيا الكفرَ باللّه[7].

2) ﴿لَا يُفَتَّرُ﴾: أصلُ الفُتور: الضَّعفُ والسُّكونُ، ويدورُ معنى

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 643، وسيد طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 13/ 100.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 388.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 480.
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (جرم).
(5) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (جرم).
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 210.
(7) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 643، وابن عجيبة، البحر المديد: 5/ 269.

الفَتْر على الانكسارِ والضَّعفِ، يقال: فَتَرَ الماءُ، أي: سَكَنَ حَرُّهُ، فهو فاترٌ، وفَترَ عَزْمُ فلانٍ؛ إذا ضَعُفَ، وفترتْ هِمَّتُه: سكنتْ بعد حِدَّةٍ ونشاط، أي: ضَعُفتْ وخفَّتْ[1]، ومعنى ﴿لَا يُفَتَّرُ﴾: لا يُخفَّفُ عنهم العذابُ بإزالته، ولا بتهوينِ عذابِه[2].

3) ﴿مُبْلِسُونَ﴾: أصلُ (بلس) يدلُّ على اليأسِ، وأبلسَ الرَّجلُ: سكتَ، والإبلاسُ: الانكسارُ والحُزن، يقال: أَبْلَسَ فلانٌ؛ إذا سكتَ غمًّا، وهو: الحُزنُ المعترِضُ من شدَّةِ اليأس، ويقال: أَبْلَسَ فلانٌ: سكتَ، وانقطعتْ حجَّتُه[3]، والمُبْلِسُ: الحزينُ الباهتُ اليائسُ منَ النَّجاة عند ورودِ الهَلَكةِ، لا يُحيرُ جوابًا لشِدَّةِ ما نزل به من سوءِ الحال[4]، والمُبْلِسُ في هذا الموضع: هو الآيسُ من النَّجاةِ ومن كلِّ خير، اليائسُ السّاكتُ سكوتَ يأسٍ من فَرَجٍ، الَّذي قد قَنِطَ، فاستسلمَ للعذابِ والبلاء[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

عـذابُ المجرمين مـن أهـلِ الـنّـارِ وأسبابُه

إنَّ الذين أجْرَموا في الدُّنيا بالكُفرِ باللّه، وتَكذيبِ رُسُلِه، وعِصيانِ أمرِه في عذابِ جَهنَّمَ ماكِثونَ أبدًا، لا يُخفَّفُ عنهم العَذابُ، وهم فيه آيِسونَ مِن كلِّ خَيرٍ، وما ظلَمْناهم، ولكِنْ هم ظَلَموا أنفُسَهم بالشِّركِ باللّهِ والعِصيانِ[6].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

فصل ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ عمّا قبلها:

استئنافٌ بيانيٌّ بـعـد وصْـفِ أحوالِ المُؤمِنين، أو إتمامُ تفصيلٍ لِما أُجمِلَ قبلُ

هذه الجُملَة استئنافٌ بيانيٌّ يُثيرُه ما يُسمَعُ مِن وصْفِ أحوالِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (فتر)، والفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 4/ 166.
(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 643، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 770.
(3) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (بلس).
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/ 292، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 12/ 535.
(5) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 643، والزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 264.
(6) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 439، و640.

المُؤمنين المُتَّقين من التَّساؤُل: كيف يَكونُ حالُ أضدادِهم المُشركين الظّالمين؟ فبينَ الجُملتَين شِبهُ كمالِ اتِّصال، وقد جاءت إتمامَ تفصيلٍ لِما أجْمَلَه الوَعيدُ الَّذي في قَولِه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾ [الزّخرف: 65]، عَقِبَ تَفصيلِ بَعضِه بقَولِه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ [الزّخرف: 66]، وبقَولِه: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزّخرف: 67]؛ إذ قُطِعَ إتمامُ تَفصيلِه بالاعتِناءِ بذِكْرِ وعدِ المُؤمنين المُتَّقين، فتكون في هذا المَوقِعِ بيانًا لجُملَةِ الوَعيدِ، وتفصيلًا لإجمالِها[1].

دلالةُ التَّأكيد بالأداة ﴿إِنَّ﴾:

في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ﴾ افتتاحُ الخَبَرِ بحَرفِ ﴿إِنَّ﴾؛ للاهتِمامِ به، أو لتَنزيلِ السّائِلِ المُتَلَهِّفِ للخَبَرِ مَنزِلَةَ المُتَرَدِّدِ في مَضمونِه؛ لشِدَّةِ شَوقِه إليه، أو نَظَرًا إلى ما في الخَبَرِ من التَّعريضِ بإسماعِهِ المُشركين، وهم يُنكِرون مَضمونَه، فكَأنَّه قيل: إنَّكُم أيُّها المُجرِمون في عَذابِ جَهَنَّمَ خالِدون[2].

تَنزيلُ السّائِلِ المُتَلَهِّفِ للخَبَرِ مَنزِلَةَ المُتَرَدِّدِ في مَضمونِه

سرُّ إيثارِ التَّعبير بلفظ ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾:

البيانُ القرآنيُّ آثَرَ استعمالَ لفظِ المجرمين؛ للتَّنبيهِ على أنَّ شِركَهم إجرامٌ، والإجرامُ هو الإثمُ العظيم[3]، وأنَّهم بلغوا الكمالَ في الإجرام، فإجرامُهم كان طبعًا لهم، لا ينفكّون عنه أصلًا ما بَقوا[4].

الكُفرُ جُرْمٌ عظيمٌ يستحقُّ صاحبُه الخلودَ في النّار

سرُّ مجيء الكلامِ على طريقة الالتفات:

التفتَ البيانُ الإلهيُّ من الخطابِ في الآية السّابقة: ﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ﴾ [الزخرف: 73] إلى الغَيبة في هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾؛ تلوينًا للكلام بما يُجدِّدُ الانتباهَ له، والتَّأمُّلَ فيه، والتفاتًا عن المجرمين مقْتًا وتبعيدًا لهم؛ إذ إنَّ مقامَ الغَيبةِ

المَقتُ والتَّبعيدُ لائقان بمَن كانت صفتُه الكتمانَ والرُّسوخَ في الإجرام

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 257.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 257.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 258.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 481.

- الَّذي هو مقامُ المَقتِ والتَّبعيدِ والطَّردِ - لائِقٌ بمَن كانتْ صفتُه الكمالَ في الإجرام.

بلاغة تعلُّق الجارِّ والمجرور ﴿فِي عَذَابِ﴾ بـ: ﴿خَالِدُونَ﴾:

تعلُّقُ الجارِّ والمجرور ﴿فِي عَذَابِ﴾ بقوله: ﴿خَالِدُونَ﴾ على أحدِ قولين[1] يُفيدُ تقييدَ خَلودِ الكافرين في عذابِ جهنَّم، وإحاطتَه بهم إحاطةَ الظَّرفِ بمظروفه، بما يَدلُّ على شدَّةِ هذا العذاب، والَّذي أكَّده ما تبعَه من نفيِ لأيِّ نقصانٍ وتخفيفٍ يعتري هذا العذابَ، كما يعهد في عذابِ الدُّنيا؛ لأنَّهم هم وقودُها بقوله تعالى: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾[2].

تقييدُ خُلودِ الكافرين في عذابِ جهنَّم دليلٌ على شِدَّة عذابِهم

سرُّ إضافةِ لفظ ﴿عَذَابِ﴾ إلى ﴿جَهَنَّمَ﴾:

إضافةُ ﴿عَذَابِ﴾ إلى ﴿جَهَنَّمَ﴾ إضافةٌ بيانيَّةٌ، جاءتْ بيانًا للعذابِ الَّذي أعدَّه اللهُ للكافرين؛ لأنَّه اسمٌ عَلَمٌ على النّار، وتهويلًا لشأنِ هذا العذاب، فهو عذابٌ عظيمٌ مهولٌ ليس كعذابِ الدُّنيا، بل هو عذابُ النّار الَّتي من شأنها لقاءُ مَن دخلها بالتَّجهُّم والكَراهة والعُبوسة، كما كان يعملُ الكافرُ عند قطعِه لأولياء الله تعالى[3]، وفي هذا تخويفٌ عظيمٌ للكافرين من عذابِ الله.

عذابُ الكافرين عذابٌ عظيمٌ مهولٌ ليس كعذابِ الدُّنيا

الغَرضُ من تقديم شِبه الجملة على الخبر في: ﴿فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾:

قدَّمَ النَّظمُ الكريم شِبهَ الجملة: ﴿فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ﴾ على الخبر ﴿خَالِدُونَ﴾، ولم يقلْ: (خالدون في عذابِ الله)؛ للاهتمام والتَّركيز على بيانِ شدَّةِ عذابِ المجرمين، واستغراقِهم في عذابِ جهنَّم، وهذا فيه من التَّخويف ما فيه، وكذلك في التَّقديم رعايةٌ للفاصلة القرآنيَّة.

في التَّركيزِ على أنَّ عذابَ المجرمين وخُلودَهم هو في جهنَّم تخويفٌ وتهديد

سرُّ اصطفاءِ النَّظمِ لفظةَ جهنَّمَ دونَ سواها:

آثرَ البيانُ الحكيمُ اسمَ جهنَّمَ في قوله تعالى: ﴿فِي عَذَابِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 55.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 481.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 481.

جَهَنَّمَ﴾؛ للدَّلالةِ على شدَّةِ هذا العذاب، فجَهنَّمُ على أحدِ الأقوال هي اسمٌ لجميعِ نارِ الطَّبقات السَّبع[1]، أو لأنَّ جهنَّمَ تدلُّ على بُعْد القَعْرِ[2]، وهي شديدةُ الغضب، منظرُها مستنكَرٌ وكَرِيْهٌ، كما أنَّ اسمَ جهنَّمَ عَلَمٌ للنّار الَّتي يُعذِّبُ اللّهُ بها في الآخرة، فهي الأشهرُ والأكثرُ ورودًا بين أسماءِ النّار في القرآن، فقد وردَتْ سبعًا وسبعين مرَّةً، فكان في ذِكْرها مزيدُ تخويفٍ وتنفيرٍ منها، وأشدُّ وقعًا على النَّفس.

في ذِكْرِ جهنَّم بعيدةِ القَعْر شديدةِ الغضبِ مزيدُ تخويفٍ منها

الغَرضُ من التَّعبير بأسلوب النَّفي في: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾:

نفى البيانُ القرآنيُّ فتورَ العذابِ عن الكافرين؛ ليُعْلِمَ أنَّ النّارَ، وإنْ أنضجَتْ جلودَهم، وأحرقتْهم، لا يُفَتَّرُ التَّألُّمُ عنهم بنُضجِ الجلودِ، بل التَّوجُّعُ والتَّألُّم بعد نُضجِ جلودِهم واحتراقِها على ما كان قبلَ النُّضجِ[3]، فنَفيُ فتورِ العذابِ عن المجرمين يُؤكِّد استمرارَ عذابِهم، ويُؤكِّد خلودَهم في النّار، بعد قوله: ﴿خَٰلِدُونَ﴾؛ لأنَّ المؤمن العاصي يُخَفَّفُ عنه عذابُ النّارِ، ولا يَخْلُدُ فيها.

نفيُ فُتورِ العذابِ عن المجرمين يُؤكِّدُ استمرارَ عذابِهم وخُلودِهم في النّار

نُكْتَةُ بناءِ الفعل المُضَعَّف ﴿يُفَتَّرُ﴾ لِما لم يُسَمَّ فاعلُه:

بناءُ الفعل ﴿يُفَتَّرُ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَا يُفَتَّرُ﴾ لِما لم يُسمَّ فاعلُه؛ للتَّركيز على الحَدَث، وهو نفيُ تخفيفِ العذابِ عنْهُم، وحصرِ الوَعي فيه، وللإيجاز؛ إذ لو عَبَّر بقوله: (لا يُفتِّر اللّهُ عنهم العذابَ)؛ لكان في الكلامِ إطالةٌ تَذهبُ بجماله، وقد جاء ﴿يُفَتَّرُ﴾ مضعَّفًا، ولم يقل: (لا يَفتُر)؛ للمبالغة في بيانِ عدمِ تخفيفِ العذابِ عن الكافرين، فلفظُ ﴿يُفَتَّرُ﴾ يدلُّ على نفي إضعافِ العذاب بنَوعٍ من الضَّعف، فنفيُ التَّفتير نفيٌ للفُتورِ من غير عكس[4].

تركيزٌ على نفي تخفيفِ العذاب عن المجرمين وحَضٌّ للوعي فيه

(1) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (جهن).
(2) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (جهنم).
(3) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 9/ 186.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 481.

سرُّ التَّقييدِ بجملة: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾:

جملةُ: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ في موضعِ الحال، أي: حالُ المجرمين وهم في عذابِ جهنَّم أنَّهم لا يُفَتَّر عنهم العذابُ، وجاءت صيغةُ الفعل بالمضارع؛ لإفادة التَّجدُّد والاستمرار، والتَّصوير، ممّا يدلُّ على أنَّ حالَهم هذه من العذاب الأليم وعدمِ تخفيفه عنهم مستمرَّةٌ متجدِّدة في عذاب جهنَّم.

حالُ المجرمين في عذابِ جهنَّم مستمرَّةٌ على عدمِ تخفيفِ العذاب عنهم

معنى الواوِ ودلالتُها في: ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾:

جُمْلَةُ: ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ إمّا أن تكون عَطْفًا على جُمْلَةِ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾[1]، وفي هذا العطفِ جمعٌ بين خُلودِ الكافرين في النّارِ، وعدمِ تخفيفِ العذاب عنهم، ويأسِهم من الخُروجِ منها، وفي هذا بيانٌ لشدَّةِ هذا العذاب الَّذي استحقّوه؛ بسببِ جُرمهم العظيم، وهو الكفر، وإمّا أن تكون جملة حاليَّة، ويكون الغَرَضُ بيانَ حالِهم في انقطاع أملهم في الخروج من العذاب ويأسِهم من ذلك، وورودُها اسميَّةً يُقوّي هذا المعنى.

تسبَّبَ عن كفرهم خلودُهم في النّار وعدمُ تخفيفِ العذاب ويأسُهم

الغرضُ مِن تقديم ﴿فِيهِ﴾ على ﴿مُبْلِسُونَ﴾:

قُدِّمَ الجارُّ والمجرور على الخبر في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾، فلم يقل: (وهم مبلسون فيه)؛ لإفادةِ تخصيصِ إبلاسهم في هذا العذابِ الشَّديد، ممّا يَدلُّ على شدَّته، ويكون أدخلَ في ترهيبهم وتخويفهم منه، وفي التَّخصيصِ إلماحٌ إلى أنَّ عصاةَ أهلِ التَّوحيد يُفتَّرُ عنهم العذابُ بدليلِ الخطاب، بمفهومِ المخالفة، وأنَّ المؤمنين لا إبلاسَ لهم، وإن كانوا في بلائهم، فهُم على وصفِ رجائهم، ويَعُدّون أيّامَهم[2]، كما أنَّ في التَّقديمِ مراعاةً لفاصلةِ الآيات.

تخصيصُ إبلاسهم في عذاب جهنَّم دليلٌ على شِدَّته ورهبتِه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 258.

(2) ابن عجيبة، البحر المديد: 5/ 269.

معنى الواو ودلالتها في: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾:

نَفيُ استِعظامِ ما جوزوا به مِن الخُلودِ في العَذابِ، فهُم من ظلموا أنفسهم

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ إمّا اعتراضيَّة، والجملةُ مُعتَرِضةٌ في حِكايةِ أحوالِ المُجرِمينَ، قُصِدَ منها نَفيُ استِعظامِ ما جوزوا به مِن الخُلودِ في العَذابِ، ونَفيُ الرِّقَّةِ لحالِهم المحكيَّةِ بِقَولِه تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[1]، أو عاطفةٌ[2]، والمعنى: وما ظلمنا هؤلاء المجرمين بفعلنا بهم ما أخبرناكم أيُّها النّاسُ أنّا فعلنا بهم من التَّعذيب بعذابِ جهنَّم[3]، بل هم الَّذين ظلموا أنفسهم.

دلالةُ النَّفي بالأداة (ما) في: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾:

اللهُ تعالى مستحيلٌ في حقِّه أيُّ نوعٍ من أنواعِ الظُّلم

(ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ نافيةٌ، ووقوعُ فعل ﴿ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ في سياقِ النَّفي يقتضي عمومَ مدلولِه؛ لأنَّ الفعلَ في سياقِ النَّفي بمنزلةِ النَّكرة في سياقه، وعمومُ الفعل يستلزمُ عمومَ متعلِّقاتِه من مفعولٍ ومجرور، فيَعمُّ نفيَ جميعِ أنواعِ الظُّلم، والمعنى: ما ظلمناهم نوعًا من الظُّلم؛ لأنَّه تعالى مستحيلٌ في حقِّه الظُّلم[4]، ولأنَّ معاملته إيّاهم بتلك المعاملةِ هي جزاءٌ على ظلمهم، فلذلك عقَّبَ بقوله: ﴿وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

معنى (الواو) ودلالتُها في: ﴿وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

في بيانِ حالِ المجرمين الظَّلَمةِ مزيدُ عذابٍ لهم بلَؤمهم أنفسَهم

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ حاليَّةٌ، والمعنى: وما ظلمناهم، والحالُ أنَّهم كانوا هم الظّالمين، وقد جاء الجواب بقوله: ﴿وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ ليزيدَ عذابهم برجوعهم بالملامةِ على نفوسهم، ووقوعِهم في منادماتِ النَّدامات[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 258.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 107.
(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 8/ 55.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 482.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 482.

بلاغةُ التَّعبيرِ بأسلوب القَصْر في: ﴿وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

قَصْرُ صفةِ الظُّلمِ على المجرمين تأكيدٌ على مبالغتهم في ظُلمِ أنفسهم

ضَميرُ الفَصلِ ﴿هُمُ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مُجتَلَبٌ؛ لإفادَةِ قَصرِ صِفَةِ الظُّلمِ على اسمِ (كان)[1]، وفي القصر تمكينٌ لمعنى الظُّلم، وتقويةٌ له، ومبالغة في وجوده فيه طبعًا وسجيَّةً، كأنَّه خاصٌّ بهم، لا يتعدّاهم إلى سواهم.

نُكْتَة ردِّ العَجُزِ على الصَّدر في الآية:

المجرمون هم الَّذين أرادوا هذا العذابَ، واشتروهُ بأعمالهم وبظلمهم لأنفسهم

ابتداءُ قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بلفظ: ﴿ظَلَمْنَٰهُمْ﴾، واختتامُه بلفظ: ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، يشيرُ إلى أنَّ المجرمين هم الَّذين أرادوا هذا العذابَ الأليم، واشترَوهُ بأعمالهم وبظلمهم لأنفسهم، وهذا من المحسِّنات البديعيَّة الَّتي تُعرفُ بِرَدِّ العَجُز على الصَّدر، والَّتي تزيدُ الكلام حُسنًا، والمعنى تَمَكُّنًا.

❁ الفُروقُ المُعجَمِيَّةُ:

الإجرام والعِصيان:

الكفرُ جُرمٌ عظيمٌ يستحقُّ الخلودَ في النّار والإبلاسَ من رحمةِ الله

الإجرامُ أعظمُ وأفظعُ من العصيانِ، وعقوبتُه أشدُّ؛ إذ "الجُرْمُ لا يُطلقُ إلّا على الذَّنبِ الغليظ"[2]، فالإجرامُ هو الإثْمُ العَظيمُ، وأعظَمُ الإجرام الكفْر[3]، بينما العصيانُ أخفُّ من الإجرام، ويُطلقُ على المخالفاتِ الصَّغيرة والكبيرة، والعِصيانُ امتناعٌ وتَمرُّد؛ إذ أصلهُ اللُّغويُّ يدلُّ على الفرقةِ والخروجِ عن الطّاعةِ، ومخالفةِ أوامرِ اللّه[4]، وقد ناسبَ هنا استعمالُ لفظِ المجرمين؛ لكونه جاء وصفًا للكافرين الَّذين اكتسبوا الإثمَ العظيمَ، وهو كفرهم باللّه، فاستحقّوا الخُلودَ في النّارِ والإبلاسَ من رحمةِ اللّه.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 258.
(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (جرم).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 210.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (عصى).

الإبلاس والقُنوط:

الإبلاسُ أبلغُ من القُنوط وأوسعُ دلالةً، فالإبلاسُ هو اليأسُ الشَّديدُ المصحوبُ بالسُّكوت غَمًّا، وبالحُزنِ والحيرةِ والانكسارِ والانقطاعِ عن الأمل، واليأس من النَّجاة، والعجزِ عن إبداء الحُجَّة، أو أيِّ فعلٍ؛ لشِدَّةِ ما نزلَ به من سوءِ الحال[1].

الإبـلاسُ أبـلـغُ مـن الـقـنـوطِ، وأنسبُ في وصفِ حـالـةِ المجرمين الـخـالـديـن في النّار

بينما القنوطُ هو اليأسُ الشَّديد من رحمةِ اللّه، وانقطاعُ الأمل؛ إذ أصلُ القُنوط: المَنْعُ، ومنه سُمِّيَ اليَأسُ قُنوطًا؛ لأنَّ اليائسَ مَنَعَ نَفْسَهُ مِن رَحْمَةِ اللّهِ تعالى[2]، ومن هنا كان التَّعبير بلفظ ﴿مُبْلِسُونَ﴾ أبلغَ في وصفِ حالةِ المجرمين الخالدين في النّار وتصويرِها، فهُم في يأسٍ شديدٍ مصحوبٍ بحُزنٍ وحَيرةٍ وانكسارٍ، وفي انقطاعٍ عن أيِّ أملٍ للنَّجاة، عاجزون عن إبداءِ أيِّ حُجَّة، ساكتون غمًّا ونَدَمًا على سوءِ حالِهم وما وصَلوا إليه؛ نتيجةَ إجرامِهم وكُفرِهم.

(1) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (بلس).
(2) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (قنط).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والخمسون،
سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 54 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-02-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 54 : المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-02-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8769435 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"